

موقف الناصر يوسف الثاني من الغزو المغولي لبلاد الشام

1236-1258هـ / 634-656م

شوكت حجه

قسم التاريخ، كلية الآداب، جامعة الخليل، الخليل، فلسطين

الملخص:

تتناول هذه الدراسة، موقف الناصر يوسف الثاني من غزو المغول للعالم الإسلامي عامه، وببلاد الشام بشكل خاص، وقد عرضنا بداية ترجمة قصيرة للناصر يوسف متضمنة بعض صفاتيه، ثم تضمنت الدراسة موقف الناصر من المغول منذ بدء ظهور شبحهم المخيف على حدود البلاد الشامية، حتى قبيل سقوط بغداد عام (656هـ/1258م)، وأخيراً بينت الدراسة موقف الناصر من خطر مغول فارس (إيلخانين) على الشام، وموقفه من استيلائهم عليها، وتوجت الدراسة بأهم النتائج التي تم خصت عنها.

The Attitude of Al-Nasir Yousef II On the Mongol Invasion of Syria 634-658 AH / 1236-1258 AD

Abstract

This study investigates the position of Al-Nasir Yousef II on the Mongol invasion of the Islamic world in general and Greater Bilad Al-Sham in particular. It starts with a brief biography, including some of his qualities, about Al-Nasir Yousef II. The study, then, reveals the attitude of Al-Nasir on the Mongol invasion from the emergence of their terrifying ghost on the frontiers of Bilad AL-Sham until the time shortly before the fall of Baghdad in 656AH/1258 AD. The study also shows his position on the danger caused by the Mongols (Ilkhans) of Persia to Bilad AL-Sham and their capture of it. The study concludes with the most important results.

شوكت حجه

هو السلطان الملك الناصر صلاح الدين يوسف بن الملك العزيز محمد بن الملك الظاهر غازى بن السلطان الملك الناصر صلاح الدين (1) يوسف بن نجم الدين أيوب(2) ولد في يوم الأربعاء التاسع من رمضان عام (1229هـ/627م) بقلعة حلب(3)، وتولى الحكم على ولاية حلب عند موت والده العزيز عام (1236هـ/634م)(4)وله من العمر سبع سنين (5)، إذ قام بتديير مملكته الأمير شمس الدين لؤلؤ الأميني وعز الدين بن مجلبي ، والوزير جمال الدين القطبي، والطشي جمال الدولة إقبال الخاتوني . وكانت جميع الأمور من الحل والعقد لجده الصاحبة ضيفة خاتون بنت الملك العادل أبي بكر بن أيوب (6). وفي عام (1242هـ/640م) توفيت ضيفة خاتون، فاستقل الناصر بالسلطة، وأصبح صاحب الأمر والنهي (7).

وفي عام (1250هـ/648م) توجه الناصر به وسف نحو دمشق، ففتحت له واستولى عليها بغير قتال (8). وزاد ملكه على ملك أبيه وجده، فخضعت لسيطرته حران والرها والرقة ورأس العين(9)، وما مع ذلك من البلاد، وملك حمص وبعلبك والأغوار والساحل الشامي إلى مدينة غزة (10)؛ إضافة إلى دمشق التي جعلها حاضرة ملكه (11).

وكان الناصر سمحاً جواداً، حسن الأخلاق، محباً إلى الرعية، محباً للأدب والعلم، يحب العدل ويعمل به، ويكره الظلم (12). وما يؤخذ عليه أنه كان حليماً، وتجاوز به الحلم إلى حد إضراره بأمور مملكته . وفي ذلك يقول المؤرخ أبو الفداء: "..... وانقطعوا الطرق في أيامه، وبقي لا يقدر المسافر على السفر من دمشق إلى حماه وغيرها إلا برفقة الأجناد، وكثير طمع العرب والتركمان في أيامه، وكثرت الحرامية، وكانوا يكبسون الدور، ومع ذلك إذا أحضر القاتل بين يدي الملك الناصر المذكور يقول : الحي خير من الميت، ويطلقه، فادي ذلك إلى انقطاع الطرقات، وانتشار الحرامية والمفسدين " (13) يضيف الذهبي على ذلك قوله :

"..... وفي دولته انحل وانخنا، لعدم سلطنته....." (14).

ومما يجدر ذكره من سيرة الملك الناصر يوسف، فشل محاولاتة المتكررة في استرجاع عرش آبائه وأجداده، أي إعادة السيطرة الأيوبيية على مصر، والقضاء على حكم المماليك (15)، قد ساهم بشكل جزئي في تدخل أعداء الإسلام في شؤون المسلمين، لتحقيق أهدافهم التي فشلوا في تحقيقها، ومن ذلك أن فرنجة الشام قد ضمّنوا للسلطان الناصر إعادة السيطرة على الديار المصرية، بشرط أن يسلمهم أو يتنازل إليهم عن بيت المقدس وبلاط أخرى، وحاولوا ابتزازه

"موقف الناصر يوسف الثاني..."

عن طريق أن تعطى له - مصر - أو للمصريين . ويبعدو أن الناصر كان حريصاً على رضا الله عز وجل ، وقال : " والله لا لقيت الله تعالى ، وفي صحيحتي إخراج القدس عن المسلمين " .(16)

2- علاقة الناصر يوسف بالمغول:

أ- قبل سقوط بغداد عام 656هـ - 1258م:

قبل ظهور هولاكو على مسرح الأحداث السياسية في النصف الثاني من القرن السابع الهجري / الثالث عشر الميلادي، خضع الناصر يوسف الثاني - صاحب حلب ودمشق - رسمياً لسلطة المغول ، وأخذ بدفع الجزية لهم ، خاصة بعد ازدياد هجمات المغول المتلاحقة على غالبية مناطق العالم الإسلامي؛ فحالما تولى الخاقان (17) المغولي أوكتاي (626-639هـ/1229-1241م) الحكم ، بعد وفاة جنكيز خان ، أرسل جيشاً قوياً أخضع فيه الري وهمدان وما بينهما ، ثم قصد أذربيجان ، فخراب ونهب وقتل ، وأوقع باخر سلاطين الدولة الخوارزمية جلال الدين منكربتي ، حتى كان آخر العهد به في آم د عام (628هـ/1231م)(18). وبذلك تمكن أوكتاي من تحقيق أهداف والده ، فمن ناحية : قضى على الدولة الخوارزمية ، وانتقم لمقتل التجار المغول(19) ، ومن ناحية أخرى : أمن المغول الطريق أمام غزوائهم نحو البلاد الإسلامية ، فهاجموا بلاد الجزيرة وحران عام (629هـ/1232م)(20). وهاجموا شهربور (21) من أعمال أربيل * (22). وأغاروا على الموصل عام (633هـ/1235م)(23) وعام (634هـ/1236م)(24).

وفي عهد كيوك (644-647هـ/1247-1249م) خليفة أوكتاي ، أغارت المغول على أرزن الروم (25) عام (641هـ/1243م) ، واستولوا عليها ، وألزمو صاحبها السلطان غياث الدين كيخسرو سلطان سلاجقة الروم بدفع جزية سنوية قدرها أربعين ألف دينار ، وعدد من العبيد والخيل (26). وهاجم القائد المغولي يساور نويان أطراف بلاد الشام ، ووصل بالقرب من حلب في العام نفسه (27).

ويبدو أن ازدياد نشاط المغول ، وتكرار غاراتهم المتلاحقة على أقاليم العالم الإسلامي؛ وتأكيد خاقانات المغول المتعاقبين على شعار الجد المؤسس - جنكيز خان - "شمس واحدة في السماء وملك واحد على الأرض" ، والنابع من فكرة الإمبراطورية المركزية على النمط

شوكت حجه

الصيني (28) دفع عدداً كبيراً من حكام المسلمين ومنهم السلطان الناصر يو سف الثاني إلى الانضواء تحت راية المغول، ومراسلة زعمائهم وقادتهم، وتقديم الهدايا والتحف والهبات المالية؛ إلى جانب ما يدفعه هؤلاء من الجرية السنوية المقررة (29).

وكانت أولى الإشارات التي وصلتنا عن اتصالات الناصر يوسف بالمغول، أوردها المؤرخ علاء الدين عطا ملك الجويني (ت 681هـ / 1282م)، عندما ذكر في أحداث عام 641هـ / 1243م أن الناصر يوسف الثاني قد أرسل مبعوثاً خاصاً إلى الأمير أرغون، الحاكم المغولي حديث العهد، والمسؤول عن المناطق الإسلامية المسيطر عليها من قبل المغول، حيث كان يقيم في مدينة تبريز عاصمة أذربيجان (30).

ويظهر مما أورده الجويني، أن مبعوث الناصر كان يحمل رسالة تتضمن التوديد إلى المغول في طلب ودهم، والتسلل إلى أرغون طلباً للحماية (31). ولا يعرف على وجه التحديد إلى من يعود طلب الحماية؟ ، هل لوقف غارات المغول المتكررة على مشارف حلب والشام؟، أو يرجع ذلك إلى الخطر الفرنجي (الصليبي) الذي كان جاثماً على أرض الشام ، ويشكل تهديداً مستمراً لمصر عن طريق الحملات الفرنسية (الصليبية) ، كما حدث في الحملة الفرنجية (الصليبية) الخامسة (32) .

وقد شكلت رسالة الناصر يوسف فرصة ذهبية للأمير أرغون، الذي تمثل رده بان أرسل الجبة إلى المناطق المختلفة، ومن ضمنها حلب والشام ليستوفوا منها الأموال التي يجب أن يدفعوها له (33).

ويحدد المؤرخ ابن شداد (ت 684هـ / 1285م) المعاصر للأحداث التاريخية عام 642هـ / 1244م التاريخ الذي بدأ فيه السلطان الناصر يوسف ببذل الأموال إلى المغول (34). وهذا ما أكدته المؤرخ المقرizi (ت 845هـ / 1441م)، ففي أحداث عام 642هـ / 1244م يتعرض إلى ذكر ذلك مرتين، ضمن أحداث السنة نفسها، فيذكر أولاً أنه ورد إلى دمشق كتاب من بدر الدين لؤلؤ صاحب الموصل، يطلب الأموال التي قررت للمغول على أهل الشام، ويقول : "فيها - أي 642هـ - ورد إلى دمشق كتاب بدر الدين لؤلؤ، صاحب الموصل، وفيه يقول إني قررت على أهل الشام قطعية (35) للتر في كل سنة، من الغني عشرة دراهم، ومن المتوسط خمسة دراهم، ومن الفقير درهم، فقرأ الكتاب القاضي محي

"موقف الناصر يوسف الثاني..."

الدين بن الزكي (36) ، ووقع الشروع في جبایة المال)) (37)، وينعرض المقریزی ثانیاً إلى ذكر الخبر نفسه، فقال : " وفيها - 642 هـ - ورد كتاب بدر الدين لؤلؤ من الموصل بجبایة قطیعة التتر من دمشق، فقرأ كتابه محي الدين بن الزکی على العادة " (38). ولا نعرف على وجه الدقة، هل ورد على الشام كتابان في العام نفسه؟ يمثلان الطلب والاستجواب بارسال الجبایة إلى المغول، أم أن أساس ذلك أن المقریزی قد وقع في غفلة من أمره، فكرر الخبر مرتين، وجعلهما متشابهین في المضمون والمعنى.

وفي عام (643هـ/1245م) أرسل الناصر يوسف أحد أقربائه تاج الملوك (39) مبعوثاً خاصاً إلى الخاقان المغولي كیوک خان في قراقورم (40)، وقد عاد المبعوث ومعه مرسم يوضح واجبات الناصر اتجاه الخاقان (41) المسافة إلى قولهم على لسان الخاقان : " إننا لا نقبل حواله، ولا ننجد بعسر " (42). وهذا يؤكد لنا أن الناصر يوسف عندما فشل في الحصول على نجدة وحماية الأمير أرغون في تبریز، وجه أنظاره نحو الخاقان نفسه للحصول على المساعدة. وبذلك نلاحظ أن حكام المغول وخاقاناتهم كانوا ممتنعين عن تقديم أي نجدة أو حماية للناصر يوسف، وأن اهتمامهم به يدور فقط حول محاولتهم الحصول على المال بأي ثمن، وبأي وسيلة ممكنة في المقابل يبدو أن الناصر يوسف كان يبحث عن أي مناسبة يستطيع من خلالها أن يؤكد للمغول حسن ولائه وخضوعه للخاقان . ففي عام (644هـ / 1246م) عندما تم تنصيب الخاقان المغولي كیوک رسمياً على عرش الإمبراطورية المغولية، كان في مقدمة المشاركين في احتفال التتويج مبعوث الملك الناصر، الذي استطاع أن يحصل على مرسم، يحوي عهد أمان للملك الناصر من الخاقان الجديد (43)، و قال ابن العبري (ت 685هـ-1286م) في ذلك: " وحضر في المجمع من غير المغول أيضاً مما وراء النهر وتركستان.... ومن الشام أخو الملك الناصر صاحب حلب " (44). وقال أيضاً في حوادث عام (645هـ / 1247م): "... ولی کیوک خان على بلاد الروم وكتب برليغ (45) عهد أمان للتكفّر (46)، والملك الناصر صاحب حلب " (47).

أرسل الناصر يوسف بعد عدة سنوات أي حوالي عام (648هـ / 1250م) بعثة أخرى إلى عاصمة المغول قراقورم، وكان هدف البعثة هو إظهار الولاء والخضوع للخاقان حد بيت العهد منكوفاً آن، وكان يقود البعثة الزین الحافظي (48)، الذي تكرر وصوله إلى قراقورم عاصمة

شوكت حجه

المغول، قبل العام المذكور، مبعوثاً من قبل شمس الدين لؤلؤ صاحب الموصل (49). وعادت البعثة إلى الشام عام (649هـ/1251م)، حاملة معها صورة أمان، تدل على إقرار منكوقة آن بخضوع الناصر له (50). وقد عبر ابن العميد (ت 672هـ-1273م) عن ذلك بقوله : "وفي سنة تسع وأربعين وستمائة وصل الزين الحافظي من بلاد التتار، فإن الأمير شمس الدين لؤلؤ كان في حياته أرسله إلى القان الكبير ملك التتار بهدايا كثيرة في حياصته (51)، وهذا دليل الطاعة عندهم....." (52).

ومن الجدير باللحظة أن المقرizi ذكر هذا الخبر ضمن أحداث عام (648هـ/1250م) (53). إلا أن ابن العميد المعاصر للحدث، ذكر ذلك ضمن أحداث عام (649هـ/1251م)، أي بعد وصول الزين الحافظي إلى دمشق قادماً من حاضرة المغول (54).

وفي العام نفسه - (649هـ/1251م) - يذكر ابن شداد (ت 684هـ/1285م) أن رسل بايجو نويان - الحاكم المغولي في بلاد العجم - وصلوا إلى دمشق ومعهم تجار يحملون مراسيم تتضمن المطالبة بجزية إضافية من سائر ملوك الشام والجزيرة والموصى، ومن بينهم الناصر يوسف الثاني، وقال : "...وصلت رسل من بايجو نوين ومعهم تجار، وعلى أيديهم (يرالغ) (55) ضمن حوالات على سائر الملوك منها : - (يرليغ) على السلطان الملك الناصر، بمائتي ألف دينار وعلى صاحب الروم عز الدين، بمائتي ألف دينار . - وعلى بدر الدين لؤلؤ صاحب الموصل، مائة ألف دينار . وعلى الملك السعيد صاحب ماردين، بمائة ألف دينار . - وعلى الملك الكامل صاحب ميافارقين، بمائة ألف دينار . - وعلى صاحب الجزيرة، بمائة ألف دينار . - وعلى صاحب حصن كيفا، بخمس مائتين ألف دينار" (56).

ويستمر ابن شداد في حديثه، بأن هؤلاء المبعوثين والتجار، ذهبوا إلى جميع الملوك الذين تعرضنا لذكرهم أولاً، لجمع الأموال منهم، ولكنهم رفضوا جميعاً دفع ما قرر عليهم من المال، محتاجين بأن السلطان الناصر يوسف أميرهم وكبيرهم (57) ، وهو يخطبون له، ولا يستطيعون دفع الجزية دون أن يلزمهم بذلك . فتوجه المبعوثون إلى الناصر كما مر ذكره، وطالبوه بالمال، فأشار عليه الزين الحافظي وجده اعنة أن يلبى طلبهم ويصالحهم (58). وكان من أشد المعارضين لطلب بايجو نويان المؤرخ ابن شداد نفسه . وقال: "... فقلت - أي ابن

"موقف الناصر يوسف الثاني..."

شداد - على أي صورة نصالحهم ؟ ونحن لما نوجه ناج الملوك إلى كويك خان سنة ثلاثة وأربعين وستمائة، كتبوا له يرالينغ مضمونها : إننا لا نقبل حواله ولا ننجد بعسکر " (59).

ومن ذلك نلاحظ أن الناصر يوسف كان لا يعلم عن فحوى كتاب المغول له منذ عام 643هـ/1245م وحتى عام 649هـ/1251م، عندما أخبره ابن شداد بذلك، وأحضر أمامه مراسيم المغول السابقة، التي تؤكد على عدم جدوى تقديم النجدة والمساعدة من لا مغول للملك الناصر. ونخلص إلى أن الملك الناصر لم يكن يعلم بحقيقة المغول وأهدافهم وخططهم المستقبلية من جانب؛ ومن جانب آخر بدا لنا عدم وضوح موقفه الشخصي من المغول . فيبدو أنه وقع تحت تأثير مستشاريه المؤيدین للتعاون مع المغول والمعارضين لذلك . وظهر لنا أيضاً أن الملك الناصر كان في هذه الفترة المذكورة - 643-649هـ/1245-1251م - المبادر إلى التودد للمغول خلال إرسالهبعثات إلى قراقوز، لإظهار الولاء والخضوع كما بينا آنفاً.

ومما يلفت النظر ، أن الناصر يوسف كان يرسل إلى بايجو نوبيان نائب الخاقان ببلاد العجم الهدايا والتحف في كل عام ، وقال ابن العميد : "وكان الناصر يسير إلى بايجو نائب القان ببلاد العجم الهدايا والتحف في كل سنة " (60).

والسؤال الذي يطرح في هذا المجال، متى بدأ الناصر يوسف يرسل الهدايا والتحف إلى بايجو نوبيان ؟ .

يبعد أن البداية كانت منذ عام 641هـ/1243م، ويستدل على ذلك أن بايجو دخل بلاد العجم واستقر فيها عام 613هـ/1216م(61)، أما دخوله بلاد الروم، والاستيلاء عليها فكان في عام 641هـ/1243م(62)، ويظهر أن وصوله إلى بلاد سلاجقة الروم والأشراف على حلب، قد دفع الناصر يوسف إلى طلب وده بالهدايا والتحف والجزية السنوية المقررة، وفي ذلك قال ابن العميد : "دخل باجو عساكر التتار إلى بلاد الروم، وكان غياث الدين ابن علاء الدين كيقباد وصاحبها قد استعد وجيش وجمع وحشد وسير إلى حلب، واستتجد واستخدم أربعة آلاف فارس،..... وتوجه إليه الفارسي الناصح ومعه نجدة حلب، وتقاتلوا مع التتار، فانكسرت عساكر الروم، ودخلت عساكر التتار إلى قيسارية وغيرها من بلاد الروم " (63).

شوكت حجه

ويدل على ذلك أيضا ابن شداد، من خلال ما أورده عن تحصين مدينة حلب، وقال : " وجدد الملك الناصر صلاح الدين يوسف بسور حلب أبرجة، كل واحد منها يضا هي قلعة،

وذلك في سنة اثنين وأربعين وستمائة، وسبب بنائه لها أن التتر لما نازلوا حلب وناوشوا أهلها..... أخذ في الاستعداد وتحصين البلد..... "(64).

منذ عام (649هـ/1251م) وحتى استيلاء المغول على بغداد من قبل هولاكو عام (656هـ/1258م) لم توفنا المصادر التاريخية بإشارة واضحة عن مراسلات وبعثات تمت

بين الناصر يوسف والمغول فستتي من ذلك ما أورده المؤرخ ابن العميد، الذي قال : " وكان الناصر يسير إلى بایجو نائب القان ببلاد العجم الهدايا والتحف في كل سنة، ثم بعد ذلك جاء هولاون (هولاكو) بلاد العجم وملكتها، وصار بایجو في خدمته، فتغافل الملك الناصر عنه، ولم يسير إليه شيئاً بالجملة لأمر أراده الله تعالى..... "(65)

وهذا يدفعنا إلى الاعتقاد، أن الملك الناصر استمر في دفع ما قرر عليه من قبل بایجو نويان، إلى أن تم الاستيلاء على بلاد إيران من قبل هولاكو، وقد كان وصول هولاكو إلى إيران عام (651هـ/1253م)، وتم الاستيلاء عليها بعد أن نجح المغول في القضاء على دولة الإسماعيلية (الحساشين) في بلاد فارس عام (654هـ/1256م) "(66).

منذ هذا التاريخ -(651هـ/1253م) - إلى عام (656هـ/1258م)، يبدو أن الناصر يوسف قطع اتصالاته ومراسلاتة كلها مع المغول، حتى أن هولاكو نفسه احتاج على ذلك، وقال في عدة مناسبات بعد استيلائه على بلاد فارس : "الملك الناصر كان يسير لبایجو التحف والهدايا، وهو غلامنا ،ونحن منذ وصلنا - يقصد إيران ماسير لنا رسولا ولا هدية "(67). ويضيف ابن العميد قائلاً : "ويقي هذا في نفسه "(68). أي أن هولاكو تأثر من عدم اهتمام الناصر بمراسلته وبقي يحفظ ذلك في نفسه. وبينما أن ذلك يعود إلى :

1- أن خطر المغول أصبح حقيقة واقعة لا محالة ، وبذلك شعر الملك الناصر بالخطر وأخذ ينتظر ما ستؤول إليه الأمور .

2- كان الناصر يوسف مشغولاً في استرجاع عرش آباءه وأجداده من المماليك في مصر (69).

" موقف الناصر يوسف الثاني ..."

3 - يعرو ابن العميد (ت 672هـ - 1273م) المعاصر للأحداث، سبب ذلك لأمر أراده الله، ويقول: "ثم بعد ذلك جاء هولاكو لبلاد العجم وملكتها ... فتغافل الملك الناصر ولم يسير إليه شيئاً بالجملة لأمر أراده الله تعالى....." (70).

ب- موقف الناصر يوسف من مغول فارس (الإيلخانيين) بعد سقوط بغداد:

بعد أن تم للبغول الاستيلاء على بغداد، وإحكام سيطرتهم على العراق في شهر محرم من عام 656هـ/كانون ثاني (يناير 1258م)، وجه المغول أنظارهم نحو البلاد الشامية، التي كان ينتظرونها مصيرها المحتمل كمرحلة من مرحلة البرنامج الحربي الذي رسم معالمه خاقان المغول ((منكوفاآن)) لأخيه هولاكو، في الاستيلاء على ((الرقة الممتدة من جيحون حتى اقاصي مصر)) (71).

وفي الوقت الذي بدأ فيه شبح المغول يظهر مخيفاً مربحاً للسيطرة على بلاد الشام، كانت الأوضاع السياسية في الشام تبعث على القلق والاضطراب، إذ أن الأمراء الأيوبيين كانوا متفرقين إلى أدنى درجات الوفاق فيما بينهم، وكان صراعهم مع دولة المماليك الناشئة في مصر قد احتدم، بحجة اغتصابهم للعرش الأيובי (72)؛ إضافة إلى خلافهم المستديم مع قوى الفرنجة في عكا وإمارتي طرابلس وإنطاك يا. وبدا من خلال هذه الأوضاع المتأزمة التأكيد على أن المغول لن يواجهوا قوة فاعلة تستطيع الصمود في وجههم أثناء اجتياхهم مدن الجزيرة الفراتية والشام (73).

ومن خلال استعراض المصادر التاريخية لاحظنا أن مواقف الأمراء الأيوبيين من الغزو المغولي كانت متفاوتة ما بين تقديم فروض الولاء والطاعة لهم، والتخاصل عن مجابهتهم (74)، وقد اعتبر الملك الناصر الثاني - الذي يعد أكثر الأمراء شأنًا وسلطة في بلاد الشام - أول من تخاصل عن مواجهة المغول، ورفض ما عرضه عليه الملك الكامل بن شهاب الدين غازي (75). صاحب مifarقين عام 656هـ/1258م، عندما حضر إليه يستجد به على المغول (76).

ويحدثنا المؤرخ ابن شداد (ت 684هـ/1285م)، إذ كان شاهد عيان على ما جرى بين الملك الكامل والناصر يوسف . فيذكر أنه عندما عاد الملك الكامل إلى مifarقين قادماً من جهة الخاقان المغولي ((منكوفاآن)) حيث كان خاصعاً لسلطته، نقض العهد معه - منكوفاآن -

شوكت حجه

وتروج عن الخصوص له ، فلما نزل هولاكو على بغداد ، خرج الكامل من ميافارقين إلى دمشق لطلب المؤازرة والمساعدة (77).

ويتابع ابن شداد حدثه، أنه عندما بلغ الناصر يوسف قدمه استشار أعيان دولته، فأشاروا عليه بمقابلته، باستثناء الزين الحافظي الذي قال للناصر : " متى بلغ هولاكو خروجك إليه جعله سبباً إلى قصد بلادك ، والمصلحة اعتذراك إليه ورده ". (78). ولكن الملك الناصر كان حريصاً على رأي الأغلبية، فخرج إليه والتقاه.

ونقتصر على أبرز ما جاء بين الطرفين من حديث، إذ أن الملك الكامل حاول بكل قوة أن يثني الملك الناصر عن الاستكانة والتخاذل عن مواجهة المغول، والوقوف إلى جانبه، وقال له : " إن هؤلاء التتر لا تفديهم مداراة ، ولا تنجح فيهم خدمة ، وليس لهم غرض إلا في ذهاب الأنفس ، والاستيلاء على البلاد ، ومواناً السلطان - يقصد الناصر يوسف قد بذل لهم الأموال في سنة اثنتين وأربعين إلى اليوم ، فما الذي أثمرت فيهم من خل وص المودة ؟ واحذر كل الخدر من رسولك - يقصد الزين الحافظي - ، فإنه لا ينصحك ، ولا يختارك عليهم ، وغرضه إخراج ملكك من يدك ، وأنا فقد علمت إنني مقتول سواء كنت لهم أو عليهم والمصلحة خروج السلطان بعساكره لإنجاد المسلمين ". (79).

ورغم استحسان غالبية الحاضرين لقول الملك الكامل، إلا أنه يبدو أن الناصر يوسف قد وقع تحت تأثير سياساته المتقدمة، وطبيعته غير الحازمة، متخدًا رأي الأغلبية، الذين أشاروا عليه بسياسة الخصوص للمغول، ومن أشهر هؤلاء المستسلمين لرأي الخصوص، الملك الصالح نور الدين إسماعيل بن شيركوه - ابن صاحب حمص - وابن أخيه الملك الإشرف موسى والأمير نجم الدين محمد بن الافتخار ياقوت - أمير حاجب - والتاجر وجيه الدين محمد التكريتي؛ إضافة إلى الزين الحافظي المباطن سراً للمغول (80).

كانت استجابة الناصر للملك الكامل، لا تتعذر أن يبعث معه رسولًا إلى هولاكو يشفع فيه عندو، كان رد الكامل في قوله جئتكم في أمر ديني تعوضني عنه بأمر ديني ". (81). ويبدو من ذلك أن الناصر يوسف قد سار على منوال سابقيه من أمراء الموصل وماردين وغيرهم من اذعن إلى طاعة هولاكو (82). بيدار إلى مراسلته والاتصال به، ووفقاً لما ذكره رشيد الدين الهمذاني أنه في 19 ربیع الأول عام (656هـ/1258م)، أعاد هولاكو

"موقف الناصر يوسف الثاني..."

مبعوثي (83) الملك الناصر يوسف إلى الشام، وكثروا قدموا على بغداد بعد سقوطها في يد هو لاكو، وحملهم رسالة كتبها بالعربية العالم الشيعي خواجه نصیر الدین الطوسي (84) بأمر من هو لاكو (85). وكانت الرسالة تتضمن ذكر احتلال المغول لبغداد، والأسباب التي دفعتهم إلى ذلك، ثم تحوى ذكر الأسباب التي أدت إلى قتل الخليفة المستعصم بالله، وأهمها اتهامه بالكذب على هو لاكو، فاستحق الإعدام تبعاً لزعمهم؛ إضافة إلى أن الرسالة تتضمن العبارات الكثيرة التي تذكر الناصر يوسف بأن عدم قومه على هو لاكو يمثل خسارة كبيرة له، فالاجدر به أن يذهب إليه بأسرع وقت ممكن (86) ومن الجدير باللاحظة أن المؤرخين : رشيد الدين الهمذاني (ت 718هـ / 1318م)، وابن العبري (ت 685هـ / 1286م)، والسيوطى (ت 911هـ / 1505م)، ذكروا هذه الرسالة بصيغ مختلفة، وغير متطابقة في الألفاظ والعبارات .(87)

وعندما قرأ الملك الناصر رسالة هو لاكو، أضطرب وأخذ بمشورة الأمراء، فلم يمكنوه من السير إليه، وبقي محترماً خائفاً، لا يعرف ماذا يفعل؟ (88) وفي نهاية المطاف استجا ر بالله وسير ولده الملك العزيز و بصحبته زين الدين الحافظي والأمير سيف الدين الجاكي وعلم الدين فيصر الظاهري، وحملهم الأموال الكثيرة والهدايا والتحف إلى هو لاكو (89). وينفرد المؤرخ الطباخ الحلبي (90) صورة الجواب الذي أرسله الملك الناصر إلى هو لاكو مع ولده، ومنه بـ"سم الله الرحمن الرحيم، وبه نستعين،، وقنا والحمد لله والصلوة على رسول الله (ص) على كتاب من الحضرة الايلخانية، فعرفنا من تفصيله ما أبان أنكم مخلوقون من سخط الله ونقمته، وإنكم مسلطون على من حل عليه غضبه في محنته، لا ترقون لشك، ولا ترحمون عبرة باك، قد نزع الله الرحمة من قلوبكم، وذلك كله من جملة عيوبكم، ولقد كشفتم عن الأمر الخفي لأنه لا ينتزع الرحمة إلا من قلب شقي، هذه صفات الشياطين لا صفات السلاطين،.....، ففي كل كتاب لعنتم، وعلى لسان كلنبي أهنتم، وبكل بيان بالقبح عرفتم ووصفتم، وعذبونكم من حيث خلقتم، وأنتم الكفرة الظلمة كما زعمتم،، وقلتم عنا أننا أظهرنا البدع في الأيمان، واستحلينا الفسوق والعصيان،، وأما قولكم قلوبنا كالجبال وعديدنا كالرماد،، وزعمتم إن نلقي إليكم أمرنا قبل أن يكشف الغطا، وينزل علينا منكم المطا، وتقصرون منكم الخطأ،، فقولوا لكتابكم الذي رصف رسالته، وصفق مقالته ما

شوكت حجه

قسرت، أوجزت وأبلغت واختصر، ووصل إلينا كتابك، وفهمنا ما تضمنه خطابك، فكان عندنا كصريح الباب أو كطين النبأ، ما كان الغرض إلا إعلان فصاحتك، وإظهار محض صحيحتك،.....". (91).

ونستفيد من تسطير هذه الرسالة بشكلها المختصر، إلى التعرف على أي من الرسائل التي ذكرها المؤرخين الهمذاني والسيوطى وابن العبرى - تم ذكر رسائلهم في هامش (87) - هي الرسالة الصحيحة . وبمقارنتها بما أورده المؤرخين المذكورين، لاحظنا أن صورة الرسالة التي أوردها المؤرخ ابن العبرى (ت 685هـ/1286م)، هي الرسالة الحقيقية بألفاظها وعباراتها، إذ أن الردود التي ذكرت في الرسالة التي أوردها الطباخ الحلبي، جميعها منطبقة بالتمام على الأسئلة التي طرحتها هولاكو، وذكرت في الرسالة التي أوردها ابن العبرى . وفي الوقت نفسه لم تتطبق هذه الردود على ما أورده الهمذاني والسيوطى (92).

وفي هذا المضمار، لا بد من طرح السؤال التالي : ما الأسباب التي دفعت الناصر إلى مراسلة هولاكو مجدداً ؟ ، بعد انقطاع عبر عنه هولاكو بقوله : "الملك الناصر كان يسير لباجوا التحف والهدايا ، وهو غلامنا ، ونحن منذ وصلنا يقصد وصوله إلى إيران عام 651هـ/1253م- ما سير لنا رسولًا ولا هدية " (93). وفي ذلك يقول المقرizi " فلما خرج هولاكو واستولى على الممالك، تغافل الناصر عنه، ولم يبعث إليه شيئاً، فعز ذلك عليه، وصار في كل قليل ينكر تأخر تقدمة الناصر التحف والهدايا إليه " (94).

وللإجابة على هذا السؤال، لاحظنا أنه لم يكن هناك إجماع بين المؤرخين المسلمين حول الأسباب التي دفعت الناصر يوسف إلى مراسلة هولاكو، بل اختلفت الآراء وتعددت، ويمكن استعراضها على عدة أوجه، على النحو الآتي:

ففي الوجه الأول تذكر فتنة من المؤرخين أن سبب ذلك يعود إلى أن الناصر شعر بعجزه عن مواجهة المغول، وأنه لا طاقة له ولا لغيره على مقاومتهم (95).

وفي الوجه الثاني يذكر ابن العميد (ت 672هـ/1273م) أن خوف الناصر من قسوة وهمجية المغول كان دافعاً أساسياً لمراسلة هولاكو ، خاصة بعد سماعه بسقوط بغداد، وقتل الخليفة المستحصم بالله(96) وبلغ الخوف بـ الناصر أن بعث مع ولده العزيز رسالة إلى بدر الدين لولؤة صاحب الموصل يطلب منه فيها أن يحسن السفاراة بينه وبين هولاكو ، وأن يعتذر له

"موقف الناصر يوسف الثاني..."

عن عدم قدومه عليه (79) عذره أن بلاد الشام مهددة باستمرار من خطر الفرنج ، فلا يمكنه أن يتركها(98) .

وأخيراً يذكر المقرizi (ت 845هـ/1446م) أن الناصر يوسف أراد من ذلك أن يلتمس مساعدة هولاكو له لاسترداد عرش الآيوبيين المغتصب من المماليك ، ووجد ذلك أذانا صاغية من هولاكو، فأمر بتوجيه فرقة عسكرية تقدر بعشرين ألف فارس نجدة له(99). وفي ربيع عام 1259هـ/1979ق هم الملك العزيز بن الملك الذي اصر من عند هولاكو ومعه رسالتان؛ أحدهما شفهية ، والأخرى مكتوبة(0) أما الشفهية فذكرها العزيز لوالده قائلاً : "قد قال ملك الأرضين خن للملك الناصر طلبنا لا لولده فالآن إن كان قلبه صحيحًا معنا يجيء إلينا ، والا نحن نمشي إليه"(100).

أما الرسالة المكتوبة ، فكانت متضمنةً ساليب التهديد و الوعيد ، ويأمره هولاكو -أي يأمر الناصر بضرورة الذهاب إلى تقديم الخصوص والتبعة له دون قيد أو شرط ، ومن بعض ما جاء في هذا الكتاب قوله الذي يعلم به الملك الناصر صاحب حلب ، أنا نحن قد فتحنا بغداد بسيف الله تعالى وقتلنا فرسانها وهدمنا بناءها، وأسرنا سكانها،، واستحضرنا خليفتها، وسألناه عن كلمات فكذب ، فواقعه الندم ، واستوجب منا العدم وكان قد جمع ذخائر نفيسة ، وكانت نفسه خسيسة ، فجمع المال ولم يعبأ بالرحال ، وكان قد نمى ذكره وعظم قدره ، ونحن نعود بالله من التمام والكمال ،، إذا وقفت على كتابي هذا ، فسارع برجالك وأموالك وفرسانك إلى طاعة سلطان الأرض شاهنشاه ،، تأمن شره وتتل خيره ،، ولا تعوق رسالتك كما عوقت رسالنا من قبل فلمساك بمعرفة أو تسرير بإحسان ، وقد بلغنا أن تجار الشام وغيرهم انهزموا بأموالهم وحربيهم إلى كروان سرى - مصر - ، فإن كانوا في الجبال نسفناها ، وإن كانوا في الأرض خسفناها ،"(101).

وينفرد السيوطي بذكر رسالة ثالثة بعثها هولاكو إلى الملك الناصر يوسف . ويبدو أن هذه الرسالة تم إرسالها بوساطة مبعوثين من المغول وما يدل على ذلك ، ما ذكره هولاكو في رسالته الثانية للناصر إذ قال له فيها "ولَا تعوق رسالنا عنك ، كما عوقت رسالنا من قبل"(02) من بعض ما جاء في هذه الرسالة "أهلاً بعد؛ فنحن جنود الله ، بنا ينتقم ممن عنا وتجبر ، وطغى وتنكر وبا أمر الله ما أتحد ، إن عותب تتمر ، وإن رجع استمر ، ونحن قد

شوكت حجه

أهلکنا البلاد، وأبدنا العباد، ولهتنا النسوان والأولاد، فیا أيها الباکون أنتم من ماضی لاحقون ، ویا أيها الغافلون، أنتم إلیها تساقون ،، مقصودنا الانتقام، وملکنا لا يرکم، وننزلنا لا يضام، وعدنا في ملکنا قد اشتهر ،، دمرنا البلاد، وأیتمنا الأولاد، وأهلکنا العباد، وأنقاهم العذاب، وجعلنا عظيمهم صغیرا ، وأمیرهم أسریرتاجسیون أنکم منا ناجون أو متخلصون ، وعن قلیل سوف تعلمون على ما تقدمون، وقد أذر من أذر"(103).

وکانت آخر مراسلات الناصر إلى هولاکو ، قام بها المؤرخ عزالدین بن شداد الحلبی عام(1257هـ-1258إـ) کان على بعثته أن تسفر إلى مدینة میفارقین المحاصرة من أجل الاجتماع مع القائد المغولي يشموت بن هولاکو ، لمطالبته بالکف عن حصار المدينة ومهاجمتهاقد أرسل الناصر هدية ليشموت تشمل ألف وخمسمائة دینار عینا ، وحیاصة مجواهرة، وسيف مجواهر"(104).

کان ابن شداد غير موفق في إقناع قائد المغول يشموت بالتوقف عن محاصرة المدينة (وعكس ذلك استخدم المغول ابن شداد ورقة مساومة في سبيل إقناع حاکم المدينة الملك الكامل في تسليم المدينة، ومن ثم عاد إلى الشام بدون أن يحقق أهداف الملك الناصر من هذه البعثة .(105)

وفي نهاية المطاف كان لهذه الرسائل المتوعدة والمهددة أثر في نفس الملك الناصر ، فانزعج من تهديد هولاکو الذي بات هجومه مؤکدا على بلاد الشام ، وبعث بحریمه وأهله إلى الكرک ليحصنهم فيها، وشرع الناس في مدينة دمشق وغيرها بالنزوح نحو الدیار المصرية(106). ويبدو أن الناصر یوسف قد أدرك متأخرا فشله في إقامة علاقات ودية مع المغول، لا سيما أن إخضاع البلاد الشامية والديار المصرية أصبح الهدف الثاني للمغول ، وأن التوجه نحوهما أمر محظوظ لا رجعة فيه (107). فأدرك الناصر خطورة الموقف، وبلغه أن هولاکو في طريقه نحو الشاققوع تحت السياسة المتقلبة والمضطربة ثانية ووجه أنظاره نحو طرف آخر يساعد في محفنته بالصاحب کمال الدين عمر بن العدیم إلى مصر ، لطلب النجدة والمساعدة من المماليک وعساکرهم على المغول(108).

ويلاحظ أن سلطان المماليک المظفر قظر قبل طلب المساعدة منه - قد نظر إلى خطر المغول من زاوية تختلف عما رأه الملك الناصر من مراسلة هولاکو، معتبرا أن صالح المسلمين فوق

"موقف الناصر يوسف الثاني..."

أي مسوأمة دينية فحاول أن يثني الناصر عن غيه ، وبيعث فيه الطمأنينة، خاصة بعد علمه بمراسلة الناصر للمغول ملتمسا مساعدتهم إياه لتدعم سلطته في بلاد الشام ، ولتقويض دعائيم دولة المماليك الناشئة (109). ويدرك المقرizi (ت 845هـ / 1441م) أنه في الوقت الذي سمع فيه المظفر قطر بقدوم نجدة من المغول إلى الملك الناصر بدمشق كتب إليه متودداً، " ويقسم بالأيمان أنه لا ينزعه في الملك ولا يقاومه ، وأنه نائب عنه بديار مصر، ومتى حل بها أفعده على الكرسي "(110)، وقال أيضاً: "إن اخترتني خدمتك ، وإن اخترت قدمت ومن معى من العسكر نجدة لك على القadam عليك، فان كنت لا تأمن حضوري سيرت إليك العساكر صحبة من تختاره"(111).

و يبدو أن قدوم نجدة إلى الملك الناصر من قبل هولاكو كانت شائعة ولم يُست حقّقة واقعة ، خاصة وأن هولاكو بدأ يتحرك نحو الشام ، وأصبح الآن أكثر من أي وقت مضى يعمل من أجل الانتقام من الناصر، لعدم مساعدته في فتح بغداد.

بعد أن تأكد الملك الناصر من نزول المغول على مدينة حلب (112)، وأن مدينة دمشق سوف يأتيها دورها التالي، أخذ بمجموعة مستشاريه وتوجه بأجناده إلى ظاهر مدينة دمشق ، حيث خيموا على بربازه (113)اللوقوف في وجه المغول وتصدهم (114)، واجتمع إليه حشد كبير من عرب الشام وعجم وتركمان وأكراد ومتطوعة ، حتى وصل ما اجتمع إليه مائة ألف مقاتل(115)، لكن اقتراب المغول نحو دمشق ، بث الذعر والاضطراب في نفوس المجتمعين من جيش الناصر فانفضوا من حوله وتفرقوا في الجهات المختلفة ، وهرب الملك الناصر بأجناده إليه الملك المنصور صاحب حماه باتجاه مدينة غزة بفلسطين ، وبذلك أصبحت مدينة دمشق بلا قوة عسكرية تحميها، وأهلها في حيرة وخوف من الخطر القادم (116)، واقفين على الأسوار يشتمون الأجداد ، ويدعون عليهم، ويقولون: " تركمنونا طعماً للنثار لا كتب الله عليكم سلامه" (117).

ونتيجة لفراغ مدينة دمشق من المدافعين عنها ، قرر أعيانها باتفاق الزين الحافظي على تسليم المدينة إلى هولاكو ، ودخلها المغول دون إراقة دماء ليلة الاثنين السابع من صفر (658/كانون أول (يناير) 1260م) (118).

شوكت حجه

وبذلك سقطت مدينة دمشق بيد المغول على وجه السرعة ، دون مقاومة تذكر ، مما يدفعنا إلى الاهتمام والبحث عن حقيقة الأسباب التي دفعت الناصر إلى الهروب من مدينة دمشق ، ومعرفة الأسباب التي أدت إلى سقوط دمشق دون مقاومه.

فأبو شامة المقدسي (ت665هـ/1266م) يعزّو هروب الناصر من دمشق ، وتركها لمصيرها التس إلى سوء تدبير الملك الناصر وتصرفه (119).

أما ابن العميد (ت672هـ/1273م) فيحمل الزين الحافظي مسؤولية الرعب والخوف الذي حاصل بالملك الناصري مما أدى إلى تثبيط عزيمته وعزيمة عساكره ، ودفعهم ذلك إلى الفرار باتجاه الديار المصرية(120). و يؤيد ذلك الصقاعي (ت726هـ/1326م) في كتابه (تالي كتاب وفيات الأعيان) (121). وقال ابن العميد: "...والزين الحافظي عندما يجتمع الأمراء ، ويتحدثون في لقاء التتار وقتلهم ،والزين الحافظي يغضّ قوله ويذكر عساكر التتار وكثريتهم وممارستها للحرب ويصف عظمتها هولاً كهوة وسطوتها وجبروتها وشدة بأسه ، ويتلائمه على الممالك وقتله الملوك ، وما في قلوب الناس منه من الخوف والرعب، فضعف نفس الملك الناصر ونفوس الأمراء عن لقائه وقتلاته....." (122).

ويعزّو بيبرس المنصوري (ت825هـ/1324م) هروب الناصر يوسف إلى رعبه وخوفه من المغول ويقول في ذلك : " وكان الناصر في وهن من أمره، واضطراب في رأيه، فلجلأه رعبه من التتار إلى الفرار". (123).

أما ابن تغري بردي (ت874هـ/1469م)، فحاول أن يسوغ للناصر مقصده في هروبه من مدينة دمشق، وقال: قلم. يعجب الناصر حاله لمارأى من تخاذل عساكره ، وعلم أنه إذا لاقى التتار لم يثبت عساكره لهم لكثرة تهم، ولقوتهم هؤلاء في خلق لا يحصيهم إلا الله تعالى ، من المغل والكرج والعم وغیرهم" (124).

ونلاحظ مما سبق :

أن آراء المؤرخين قد تشعبت حول هذا الموضوع ، فال الأول يحمل الناصر مسؤولية هروبه بشكل لا نقاش فيه . والثاني يحمل الزين الحافظي مسؤولية هروب الملك الناصر، وتركه دمشق تسقط بدون مقاومة . والثالث يعزّو هروبه إلى الخوف

"موقف الناصر يوسف الثاني ..."

والرعب، وهذا أمر شخصي يتحمل مسؤوليته الناصر نفسه؛ أما الرابع حاول أن يبرر للناصر هروبه.

2. يبدو أن الملك الناصر يتحمل المسؤلية كاملة سواء في خوفه أو في هروبه أوفي تخاذله عن حماية مدینته، وذلك لاعتبارات منها:-

بغض النظر عن ما قام به الزين الحافظي من تثبيط عزيمة الناصر ومن حوله ، عن مواجهة المغول، وتخاذل مجتمع إليه في برباده ، كان الأجرد به - الناصر -أن يصم على مقارعة المغولخاصة وأن الكلمة الأولى في بلاد الشام كانت له ، كما أن المظفر قطع عرض عليه النجدة والمساعدة قبل تقدم المغول نحو الشام . ولاحظنا أيضاً من خلال استعراض المصادر التاريخية ، أن هناك مدنًا مثل ميافارقين (125)، وحلب، ودمشق متوليهما الدفاع عنهم بكل قوة غير آبهين لإمكانياتهم المتوفرة ، بعيدين في تصرفاتهم عن أي تأثير فردي أو جماعي.

ب- لاحظنا في بداية الدراسة أن الناصر يوسف كان مواطنًا للمغول منذ بداية تعرضهم وغزوهم للأقاليم القريبة من البلاد الشامية ، أي منذ عام (641هـ/ 1243 م) هذا إلى جانب معاودته الاتصال بهولاكو مرة أخرى - كما مر في الدراسة - بعد انقطاع، وبذلك يكون الناصر مسؤولاً عن سياساته المتقلبة.

نكان على الملك الناصر أن يتخلص من المتواطئين مع المغول ، وعلى وجهه الخصوص مبعوثه الخاص إلى هولاكو الزين الحافظي إذ كان مشكوكاً في مواط أنه للمغول منذ عام (1250هـ/ 648). وقال ابن العميد في ذلك: "...وقال بعض الجماعة الذين كانوا معه - يقصد الزين الحافظي - أن الزين الحافظي كان يتتردد إلى هولاكو بمفرده، ويتحدث معه سراً، وقد أطمعه في البلاد" (126).

ث- وقد لاحظنا أثناء حصار المغول لقلعة حلب ، أن جماعة من أهلها وثروا على صفي الدين بن أبي عصرون ، وعلى نجم الدين أحمد بن عبد العزيز فقتلواهما بعد اتهامهم بمواطأة المغول (127).

ج- وبذلك نرجح ما رأاه أبو شامة المقدسي من أن سوء تببير الملك الناصر ، قد دفعه إلى الضعف والاستكانة عن مقارعة المغول ، ويعود ذلك بغيره المنصور

شوكت حجه

(ت 725هـ/1324م)، الذي قال بعد أن نفرقت الأجناد الشامية عن الملك الناصر يوسف: "... وتفروا وتفلوا ... وعجلوا ... وعجلوا ... عن ردهم لتناقص حرمته ، وتقاصر همته وكلمته" (128).

ح كان تقاعس الناصر و خذلانه عن مواجهة المغول قد زاد الطين بلة ، إذ أثر ذلك على تفشي ظاهري الإحجام والجبن والاستكانة بين الشاميين، الأمر الذي دفع بعض النساء إلى تقديم فروض الطاعة والولاء للمغول على شاكلة الناصر (129). أما بالنسبة إلى نهاية الملك الناصر ، ففي الوقت الذي وصل فيه إلى غزة بلغه نبأ استيلاء المغول على مدينة نابلس ، فتوجه نحو الديار المصرية، ونزل العريش ، ثم قطيا ، حيث انقض عنه جنده ، وسبقوه إلى مصر ، فعاد من قطيا إلى تيهبني إسرائيل - سيناء - خوفا من المظفر قطر ، عازما التوجه إلى الحجاز ، ولكنه عدل عن رأيه ونزل ببركة زيزاء (130)، فوشى به الطبردار (131) حسين الكردي - من القائمين على خدمة الناصر - إلى كتبغا ، فأرسل من قبض عليه ، وأحضره إلى عجلون ، ثم أرسله إلى هولاكو في تبريز ، ووعده هولاكو برد ملكه إليه ، و لكنه قتله بعد بلوغه نبأ هزيمة المغول في وقعة حمص الأولى عام 659هـ/1261م (132).

نخلص من هذه الدراسة:

1- أن الناصر يوسف الثاني دفع القطبيعة (الجزية) للمغول منذ بداية غاراتهم على حدود وأقاليم الشام عام 641هـ/1243م.

يُرَخِّمُ أن الناصر يوسف قد دفع الجزية للمغول ، إلا أنهم كانوا رافضين تقديم الحماية والمساعدة له ، وكان همهم الوحيد جمع الأموال . فكان عليه أن يتتبه إلى ذلك ، ويقوم بحشد الحشود لمقاومتهم ، بدلاً من حالة التخاذل التي غرق فيها.

3- يبدو من خلال الدراسة ، أن الناصر يوسف لم يكن مهتما بالمغول و مقاومتهم ، وقد دلل على ذلك ما ذكرناه ، من أنه لم يطلع على رسائل المغول قبل سقوط بغداد ، وهذا بدوره يدفعنا إلى الاعتقاد بأنه لم يكن على

"موقف الناصر يوسف الثاني..."

علم بخططهم وأهدافهم المستقبلية، وبقي في غفلة من أمره، وهذا بحد ذاته يحمله مسؤولية التفاس وتخاذل عن مقاومة المغول.

كان سوء تببير الملك الناصر، قد دفعه إلى الصدف والاستكناة عن مقارعة المغول.

5- كان خذلان الملك الناصر وتقاعسه عن مواجهة المغول، قد أثر على معنويات الجمهور الإسلامي في بلاد الشام، ففشل بينهم الأحجام والجبن والاستكناة عن مقاومتهم.

6- يبدو أن الملك الناصر يوسف يتحمل المسؤولية كاملة، في تخاذله وتقاعسه، وبالتالي سقوط الشام بيد المغول. فكان عليه أن يستفيد من همة الملك المظفر قطز، ويقف موقفه المشرف اتجاه المغول . ويرتقي بعلاقاته مع السلطة المملوكية في مصر إلى مستوى رفيع ، يكون من خلالها قادرًا على الوقوف في وجه الزحف المغولي وحماية مصالح المسلمين في بلاد الشام ومصر معاً.

7- أظهرت الدراسة دور الزين الحافظي في إضعاف قدرات ومكانة الملك الناصر يوسف في بلاد الشام ، في مواجهة المخاطر التي تهدد بلاده على يد المغول، كما سعى إلى وضع الناصر يوسف في موقف حرج وضعيف حينما راح يخفى عنه مراسلات المغول ، ونوايا المغول اتجاه بلاد الشام ، والتي كان الزين الحافظي على علم بها.

الهو امش:

1. قمنا بالتطويل في اسم المترجم، وذلك لأهمية ذلك في إيصال نسبه إلى صلاح الدين الأيوبي، وهو الجد الأكبر للناصر صلاح الدين يوسف الثاني.

2. الصقاعي، تالي كتاب وفيات الأعيان، ص 166؛ الذهي، سير أعلام النبلاء، ج 23، ص 204؛ الذهي، تاريخ الإسلام، حوادث 651-660، ص - ص 400-401.

3. ابن شاكر الكتبى، فوات الوفيات، ج 4، ص 361؛ ابن شاكر الكتبى، عيون التواریخ، ج 20، ص 257.

شوكت حجه

- 4 ابن شاكر الكتبى، فوات الوفيات، ج 4، ص 361؛ الذهبي، تاريخ الإسلام، حوادث 651 - 660، ص 401.
5. البدر العيني، عقد الجمان، حوادث 648 - 664، ص 282.
6. الذهبي، تاريخ الإسلام، حوادث 651 - 660، ص 401.
7. ابن شاكر الكتبى، عيون التواریخ، ج 20، ص 257.
8. الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج 23، ص 205.
9. رأس العینینة كبيرة من مدن الجزيرة بين حران ودينیسر . انظر: ابن عبد المؤمن، مراصد الإطلاع، ج 2، ص 594.
10. أبو الفداء، المختصر في أخبار البشر، ج 2 ، ص322.
11. الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج 23، ص 205.
12. الذهبي، تاريخ الإسلام، حوادث 651 - 660، ص-ص 401- 402.
13. المختصر في أخبار البشر، ج 2، ص 323.
14. سير أعلام النبلاء، ج 23، ص 205.
- 15 عن ذلك انظر ابن العميد، أخبار الأيوبيين، ص 40، 42. كان المماليك قد سيطروا على الديار المصرية بعد قتلهم آخر سلاطين الدولة الأيوبية الملك المعظم تورانشاه، وبذلك إنقسمت الشام عن مصر، وأضحت الشام تحت حكم الأيوبيين، ومصر خضعت للمماليك. انظر: ابن العميد، أخبار الأيوبيين، ص - ص 38 - 39. ومن هنا حاول الملك الناصر يوسف صاحب حلب والشام، وأكبر الأيوبيين شأنًا إعادة السيطرة على حكم مصر.
16. ابن شاكر الكتبى، فوات الوفيات، ج 4، ص 362.
17. خاقان: يعتبر الخان أقل من لقب خاقان، وقد تلقب رؤساء الأرضي الأميرية المغولية الذين تفروعوا من أسرة جنكيز خان بلقب خان، وكانوا يخضعون وإن كانوا بصفة اسمية للرئيس المغولي المتربع على عرش المغول في عاصمتهم قراقرم في منغوليا، والذي كان يحمل لقب خاقان . انظر: المحجى، فصل السبيل، ج 1، ص 448، أدي شير، معجم الألفاظ الفارسية، ص 56.

"موقف الناصر يوسف الثاني..."

18 ابن الأثير، الكامل، ج 9، ص 565 بن رسول الغساني، نزهة العيون، ج 2، ورقة 454.

19. تتمثل حادثة التجار في قيام إينال خان وإلي السلطان علاء الدين محمد خوارزمشاه في مدينة اوترار - الواقعة على نهر سيحون - بمصادره وقتل 450 من تجار المغول بأمر من علاء الدين محمد، وذلك لإنقاذه بأن هؤلاء التجار لم يأتوا بدافع التجارة مع الخوارزميين، وإنما غرضهم الحقيقي التجسس واستطلاع قوة الخوارزميين، فمهد ذلك السبيل أمام المغول ، ومنهم الحجة القوية لغزو الدولة الخوارزمية. للمزيد انظر: النسوى، سيرة السلطان جلال الدين منكيرتى، ص 85-86؛ ابن العربي، تاريخ مختصر الدول، ص 230.

20. للمزيد انظر: سبط ابن الجوزي، مرآة الزمان، ج 8 ق 2، ص 673.

21. شهرزور: كورة واسعة في الجبال بين أربيل وهمدان، وأهلها أكراد، والمدينة تقع في الصحراء. انظر: ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج 2، ص 822.

*أربيل: قلعة حصينة ومدينة كبيرة تقع بين الزابيين، وتعد من أعمال الموصل، وبينهما مسيرة يومين، انظر: ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج 1، ص 138.

22. ابن كثير، البداية والنهاية، ج 13، ص 132.

23. الذهبي، دول الإسلام، ج 2، ص 137.

24. العمري، زبدة الآثار الجليلة، ص 43.

25. أرزن الروم: مدينة من بلاد أرمينيا، وتقع آخر حد بلاد الروم من جهة الشرق، وفي شرقها وغربيها منبع الفرات. انظر: أبو الفداء، تقويم البلدان، ص 385.

26. سبط ابن الجوزي، مرآة الزمان، ج 8 ق 2، ص 742، مصطفى بدر، محنَة الإسلام، ص 119.

27. ابن العربي، تاريخ مختصر الدول، ص 255.

28. شبولر، المغول في التاريخ، ص 19؛ شبولر، العالم الإسلامي في العصر المغولي، ص 26؛ Krawulsky, Mongolen, P 93.

29. ابن شداد، الأعلام الخطيرة، ج 3 ق 1، ص 237.

شوكت حجه

30. تاريخ فاتح العالم، مج 2، ص 141.
31. المصدر نفسه، مج 2، ص 142.
- 32 عن الحملة الصليبية الخامسة . انظر ابن العميد، أخبار الأيوبيين، ص - ص ، 10 - 12. ومن المعلوم أن الحملة السادسة توجهت إلى الشام، أما الحملة السابعة توجهت إلى مصر .
33. الجويني، تاريخ فاتح العالم، مج 2، ص 142.
34. الأعلاق الخطيرة، ج 3 ق 2، ص 485
35. القطيعة: ما يفرض من مال على بلد أو إقليم للإنفاق على الاستعدادات الحربية والدفاعية^{انظر : دهمان، معجم الألفاظ التاريخية، ص 124.}
- 36 محيي الدين بن الزكي : هو قاضي القضاة محيي الدين يحيى بن محيي الدين محمد بن الزكي القرشي الشافعي توفي وله اثنتان وتسعون سنة ولـي قضاء الشام لهولاـكـو ، فعتـبـ عـلـيـهـ ذـلـكـ وـ غـرـبـ عـنـ وـطـنـهـ ، تـوـفـيـ عـاـمـ (668هـ/1269م).انظر: الـذـهـبـيـ، دـوـلـ الإـسـلـامـ، جـ 2ـ، صـ 172ـ.
37. السلوك، ج 1 ق 2، ص 315
38. المصدر نفسه، ج 1 ق 2، ص 320.
39. تاج الملوك هو تاج الملوك بن تـ وـ رـاـنـشـاهـ بـنـ يـوسـفـ بـنـ شـاذـيـ تـاجـ المـلـوـكـ بـنـ الـمـعـظـمـ بـنـ النـاصـرـ ، تـ عـاـمـ (648هـ/1250م).انظر: الـحـنـبـلـيـ، شـفـاءـ الـقـلـوبـ ، صـ 345ـ.
40. ابن شداد، الأعلاق الخطيرة، ج 3 ق 1، ص 237.
41. المصدر نفسه، ج 3 ق 1، ص 237. Morgan, Mongols-p.20
42. المصدر نفسه، ج 3 ق 1، ص 238.
43. ابن العربي، تاريخ مختصر الدول، ص 256.
44. المصدر نفسه، ص 256.
45. بـرـلـيـغـ:ـ أمرـ الـمـالـكـ،ـ أمرـ حـاـكـمـ الـمـغـولـ وـ الـكـلـمـةـ مـغـولـيـةـ الـأـصـلـ .ـ انـظـرـ:ـ عـبـدـ النـعـيمـ حـسـنـيـنـ،ـ قـامـوسـ الـفـارـسـيـةـ،ـ صـ 830ـ.

"موقف الناصر يوسف الثاني..."

46. التكفور لفظ أرمني معناه المتروج وقد أطلقه الأرمن على ملوكهم ، كما أنه يطلق أحياناً على ملوك الدولة البيزنطية . انظر، ابن فضل الله العمري ، التعريف ، ص80؛ البقلي، التعريف بمصطلحات صبح الأعشى، ص78.
47. ابن العبري، المصدر السابق، ص256.
48. الذين الحافظ لهم سليمان بن علي بن خطيب عقبا ، اشتغل بالطب، انتقل إلى حلب وأصبح له منزلة عند الناصر يوسف، وبعثه رسولاً إلى هولاكو، فاستماله المغول إلى جانبهم في البلاد؛ قتل على يد هولاكو عام (662هـ/1263م). انظر ابن أبي اصبيعة، عيون الأنباء، ص68.
49. ابن العميد، أخبار الأيوبيين، ص41.
50. ابن العميد، أخبار الأيوبيين، ص41؛ المقرizi، السلوك، ج2 ق1، ص379.
51. الحياصة هي الحزام أو المنطقة وهي في الأصل السير الذي يشد به حزام سرج الحصان. انظر: القلقشندى ، صبح الأعشى، ج4، ص42، حاشية1.
52. ابن العميد، المصدر السابق، ص41.
53. السلوك، ج2 ق1، ص379.
54. أخبار الأيوبيين، ص41.
55. براغ جمع يرلigh.
56. ابن شداد، الأعلاق الخطيرة، ج3 ق1، ص237.
كلاً بيد الناصر يوسف إضافة إلى حلب ودمشق ، أجزاء كثيرة من بلاد الجزيرة ، مثل: حران، الراها، سروج، الرقة، قلعة جعير، البيرة، جملين، الموزر، ومن ديار ربيعة: نصبيين، رأس العين، دارا، الخابور، قرقيسيا. انظر ابن شداد ، الأعلاق الخطيرة، ج3 ق1، ص245.
58. ابن شداد، الأعلاق الخطيرة، ج3 ق1، ص237.
59. الأعلاق الخطيرة، ج3، ق1، ص-ص 242-241.
60. ابن العميد، أخبار الأيوبيين، ص 41.
61. المصدر نفسه، ص8.

شوكت حجة

62. المصدر نفسه، ص32.
63. المصدر نفسه، ص32.
64. ابن شداد، الأعلاق الخطيرة، ج 1 ق 1، ص-ص65-66.
65. ابن العميد، المصدر السابق، ص41.
- 66 عن سقوط دولة الحشاشين . انظر: الهمذاني، جامع التواریخ، مسج 2 ج 4 الجوینی ، تاریخ فاتح العالم، ج 2، ص 237 ابن العبری تاریخ مختصر الدول ، ص263؛ جمال الدین السعید دولۃ الإسماعیلیۃ فی ایران؛ حافظ حمیدی ، الشرک الإسلامی قبل الغزو المغولي، ص82.
67. ابن العمید، أخبار الأیوبیین، ص41.
68. المصدر نفسه، ص41.
69. ابن العمید، ص 42.
70. المصدر نفسه، ص 41.
71. الهمذانی، جامع التواریخ، مسج 2 ج 1، ص236.
- 72 عن الصراع بین الأیوبیین والممالیک . انظر: ابن العمید، أخبار الأیوبیین، ص - ص 40-42.
73. الصیاد، المغول فی التاریخ، ص290.
- 74 عن مواقف الأمراء الأیوبیین من الغزو المغولي ، انظر: شوكت حجة، العلاقات بین دولۃ الممالیک الأولى ولیلخانیة فارس ، ص- ص 36-26؛ عبد المعز بنی عیسی؛ الغزو المغولي لدمشق، ص-ص145-152.
- 75 محمد بن غازی بن أبي بکر بن أیوب بن شاذی ، ولی میافارقین عام(645هـ/1247م) بعد وفاة والده ، استشهد علی ید المغول بعد أحد میافارقین عام (658هـ/1260م) قطع رأسه وطیف به فی البلاد . للمزید انظر: ابن أییک الصدقی، الوافی بالوفیات، ج 4، ص-ص306-307؛ الحنبلی، شفاء القلوب ، ص 387؛ الزبیدی، ترویج القلوب، ص-ص 56-57

"موقف الناصر يوسف الثاني..."

76. ابن العميد، أخبار الأيوبيين، ص45؛ الذهبي، تاريخ الإسلام، حوادث 651-660هـ؛ ص367.

77. الأعلاق الخطيرة، ج3، ق2، ص484.

78. المصدر نفسه، ج3، ق2، ص485.

79. المصدر نفسه، ج3، ق2، ص485.

Morgan, Mongols and Mamluks, 80. المصدر نفسه، ج3، ق2، ص486 p22.

81. المصدر نفسه، ج3، ق2، ص486.

82. المصدر نفسه، ج3، ق2، ص490.

للمطالعة المصادر التاريخية إلى ذكر مبعوثي الملك الناصر لهذه السفارة 0 باستثناء ابن خلدون الذي قال عنها : "بعث ابنه العزيز محمد إلى السلطان هولاكو بالهدايا....." ، العبر، ج5، ص365 محن بدورنا نشك فيما أورده ابن خلدون ، وذلك لأن جميع المصادر التاريخية لم تذكر ذلك ، ومن ثم أجمعوا على أن العزيز قام بالسفارة نيابة عن والده عام (1658هـ/1658م). انظر ابن العميد ، أخبار الأيوبيين، ص 46؛ العمري، مسالك الأنصار، م吉 27/46، ص297؛ ابن أبيك الصنفي، تحفة ذوي الألباب، ق2، ص159.

أبو جعفر نصير الدين محمد بن حسن الملقب بأستاذ البشر ، من أكبر العلماء الذين ظهروا في بلاد فارس بعد علماء الحقبة المشرفة من الحضارة الإسلامية من أمثال الفارابي وابن سينا وعمر الخيام ، وحامل مشعل العلم والأدب في عصر الاحتلال المغولي المظلم وفي فترة إقامته في طوس ، إجتبه إسماعيلية قهستان الذين بذلوا جهودهم في طلب العلم وجمع الكتب واستقطاب العلماء ، فترجم للإسماعيلية كتب الأخلاق والحكمة من العربية إلى الفارسية ، وألف كتاب تأييد مذهب الإسماعيلية، وظل يقيم بقلاع الإسماعيلية إلى أن سقطت بيده هولاكو عام 654هـ/1256م فلكرمه هولاكو لاحتفاء المغول بعلم الفلك وأحكام النجوم ، وظل يعيش في كنف المغول حتى وفاته عام 672هـ-1273م، إذ أشغل وقته في مراغة

شوكت حجه

- بإنشاء مرصدًا فلكياً للمزيد انظر: ابن شداد^١ تاريخ الملك الظاهر ،ص 98؛ عباس إقبال، تاريخ المغول، ص 493.
85. جامع التواريХ، مج 2 ج 1، ص 296.
86. للمزيد انظر: الهمذاني^٢، جامع التواريХ ، مج 2 ج 1، ص - ص 296-297؛ ابن العربي^٣ تاريخ مختصر الدول ، ص - ص 277 - 278؛ السيوطي^٤، تاريخ الخلفاء ، ص 378.
87. الصور المختلفة للرسالة حسب ما أوردها المؤرخين المذكورين ٠ فالهمذاني أورد نص الرسالة كما يلي أمّا "بعد فقد نزلنا بغداد سنة ست وخمسين وستمائة ، فساء صباح المبدرييف^٥، عوناً مالكها فألّى فحق عليه القول فأخذناه أخذناه وبيلا ، وقد دعوناك إلى طاعتنا فإن أتيت فروح وريحان وإن أبيت فخزي وخسران ، فلا تكن كالباحث عن حقه بظله ، و الجادع مارن أنفه بكفه ف تكون من الأخسرین أعمالا ، الذين ضل سعيهم في الحياة الدنيا وهم يحسنون صناعتها ذلك على الله بعزيز ، والسلام على من اتبع الهدى" ٠ انظر: جامع التواريХ، مج 2 ج 1، ص - ص 296-297.

ابن العربي يورد نص الرسالة كالتالي: "علم الملك الناصر أننا نزلنا بغداد في سنة ست وخمسين وستمائة وفتحناها بسيف الله تعالى ، وأحضرنا مالكها وسألناه مسألهين فلم يجب لسؤالنا فلذلك استوجب منا العذاب كما قال في قرآنكم : "إن الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم ولاشك أننا نحن جند الله في أرضه خلقنا وسلطنا على من حل عليه غضبه فليكن لكم فيما مضى معتبر وبما ذكرناه وقلناه مزدجر ، فالحصون بين أيدينا لا نمنع والعساكر لقائنا لا ننصر ولا نتفع ، ودعاؤكم علينا لا يستجاب ولا يسمع، فاتعظوا بغيركم وسلموا إلينا أمركم، قبل أن ينكشف الغطاء وحل عليكم الخطأحن لا نرحم من شكا ولا نرق لمن بكى ، فعليكم بالهرب وعلينا بالطلب..... فقد أذر من أذر وأنصف من حذر ، لأنكم أكلتم الحرام وختتم بالإيمان وأظهرتم البدع واستحسنتم الفسق بالصبيان فلبثروا بالذل والهوان ،....."

"موقف الناصر يوسف الثاني..."

فسارعوا إلينا برد الجواب بنته قيل أن يائكم العذاب بغنة وأنتم تعلمون" 0 انظر تاريخ مختصر الدول، ص- 277- 278.

أما السيوطي فيورد صورة الكتاب بما يأتي يغلّم السلطان الملك الناصر - طال بقاؤه لما توجهنا إلى العراق وخرج إلينا جنودهم فقتلناهم بسيف الله ، ثم خرج إلينا رؤساء البلد ومقدمو ها، فكان قصارى كلامهم سببا لهلاك نفوس تستحق الإهلاك! أما ما كان من صاحب البلدة فإنه خرج إلى خدمتنا ، ودخل تحت عبوديتنا لأننا عن أشياء كذبنا فيها ، فاستحق الإعدام فكان كذبه ظاهرا ، ووجدوا ما عملوا حاضرا أجب تلك البسيطة ، ولا تقلن: قلاعي المانعات، ورجالي المقاتلات، وقد بلغنا أن شذره من العسكرية إليك هاربة وإلى جنائك لاذة : اين المفر ولا مفر لها رب ولنا البسيطان الثرى والماء فساعة وقوفك على كتابنا يجعل قلاع الشام سماءها أرضا، وطولها عرضها والسلام" 0 انظر: تاريخ الخلفاء، ص 378.

88- ابن العربي، تاريخ مختصر الدول، ص 278.

89- ابن العميد، أخبار الأيوبيين، ص 46 ابن فضل الله العمري ، مسالك الأنصار ، م杰 27/46، ص 297. ابن سبات، تاريخ ابن سبات، ج 1، ص 378.

90- يقول المؤرخ في كتابه أعلام النبلاء : "أقول: ظفرت بهذا الجواب في كراسة خطية عند السيد أسعد العينتابي مدير دائرة تسجيل الأراضي،..... وهذا الجواب نادر الوجود، ولعلك لا تجده في غير هذا الكتاب". انظر: ج 2، ص - 228 - 229.

91- للمزيد عن هذه الرسالة- انظر: أعلام النبلاء، ص - 228 - 229.

92- عالة ابن العربي موجودة في هامش رقم (87) ما ورد فيها ، بعبارات الرد التي أوردها الطباخ الحلبي.

93- ابن العميد، أخبار الأيوبيين، ص 41.

94- السلوك، ج 1 ق 2، ص 379.

95- أبو الفداء، المختصر، ج 3، ص 197 ابن سبات تاريخ ابن سبات ، ج 1، ص 378؛ ابن بهادر، فتوح النصر، ورقات 196- 197.

96- ابن العميد، أخبار الأيوبيين، ص - ص 45-46.

شوكت حجه

- 97-النويري، نهاية الأرب، ج 29، ص 382؛ ابن دفمق، نزهة الأنام، ص 242.
- 98-ابن العميد، أخبار الأيوبيين، ص 46؛ ابن بهادر، فتوح النصر، ورقات 196 - 197.
- 99-السلوك، ج 1 ق 2، ص 410-411.
- 100-ابن العربي، المختصر في أخبار البشر، ص 278.
- 101-المقريزي، السلوك، ج 1 ق 2، ص 415-416 وانظر أيضاً ، (السيوطى)، تاريخ الخلفاء، ص 378-379.
- 102-المقريزي، السلوك، ج 1 ق 2، ص 416.
- 103-تاريخ الخلفاء، ص 379.
- 104-الأعلاق الخطيرة، ج 3 ق 2، ص 419 Morgan, op.cit, p23 .
- 105-المصدر نفسه، ج 3 ق 2، ص 491-497 Morgan, op. Cit, p23 .
- 106-ابن الفوطي، الحوادث الجامدة، ص 339-340 ابن كثير ، البداية والنهاية ، ج 13، ص 214؛ العيني، عقد الجمان، حوادث 644-664، ص 217.
- 107-ابن العميد، أخبار الأيوبيين، ص 48؛ النويري، نهاية الأرب، ج 29، ق 384.
- 108-ابن شاكر الكتبى ، عيون التواریخ ، ج 20، ص 214 المقريزي ، السلوك، ج 1 ق 2، ص 416
- 109-المقريزي، السلوك، ج 1 ق 2، ص 410-411.
- 110-المصدر نفسه، ج 1 ق 2، ص 418.
- 111-المصدر نفسه، ج 1 ق 2، ص 418.
- 112-لعن سقوط مدينة حلب بيد المغول . انظر: ابن العربي، تاريخ الزمان، ص 315 .
- 113-ابن الوردي ، تتمة المختصر، ج 2، ق 291 ابن الشحنة ، روضة المناظر، ص 261؛ ابن تغري بردي، النجوم الظاهرة، ج 7، ص 74-75.
- 114-ابن العميد، أخبار الأيوبيين، ص 48؛ أبو الفداء، المختصر، ج 3، ص 200.
- 115-ابن شاكر الكتبى ، عيون التواریخ، ج 20، ص 214 عبد السلام فهمي ، تاريخ الدولة المغولية، ص 141.

"موقف الناصر يوسف الثاني..."

- 116 - ابن سبات، تاريخ بن سبات، ج 1، ص 386؛ أبو الفداء، المختصر، ج 3، ص 200.
- ابن العميد، أخبار الأيوبيين، ص 50.
- 117 - ابن العميد، أخبار الأيوبيين، ص 15؛ ابن تغري بردي ، النجوم الظاهرة، ج 7، ص 76.
- 118 - الذيل على الروضتين، ص 203.
- 119 - ابن العميد، أخبار الأيوبيين، ص 48.
- 120 - ص 167. يقول الصقاعي: "أو هم الذين الحافظي للأمراء بالشام أن ليس لهم قدرة بجيشه هولاكو، فقتللت عزائم الملك الناصر.....".
- 121 - ابن العميد، تاريخ الأيوبيين، ص 48.
- 122 - التحفة الملوكية، ص 43.
- 123 - النجوم الظاهرة، ج 7، ص 74.
- 124 - عن سقوط ميافارقين . انظر: أبو شامة المقدسي الذيل على الروضتين ، ص 201؛ النويري، نهاية الأرب، ج 29، ص - ص 407-408؛ الذهبي، العبر، ج 2، ص 279؛ المقرizi، درر العقود، ق 1، ص 314.
- 125 - أخبار الأيوبيين، ص 47.
- 126 - ابن الوردي، تتمة المختصر، ج 2، ص - ص 293-294.
- 127 - زبدة الفكر، ص 48.
- 128 - من النساء الذين قدموا فروض الولاء للمغول : "أمراء المغرب" من آل بحتر. للمزيد انظر: صالح بن يحيى، تاريخ بيروت، ص 52، 59.
- 129 - بركة زيزاء وزيزاء من قرى البلقاء كبيرة يطؤها الحاج ، ويقام بها لهم سوق وبها بركة عظيمة ، فاشتهرت ببركة زيزاء. انظر: ياقوت الحموي ، معجم البلدان، ج 3، ص 163.
- 130 - الطبراني: الذي يحمل السلاح بين يدي السلطان لأجل حفظ نفسه .
انظر: السبكي، معید النعم، ص 35؛ الفلاشندي، صبح الأعشى، ج 2، ص 150.

شوكت حجه

131- أبو شامة المقدسي ، الذيل على الروضتين، ص205؛ ابن العميد، أخبار الأيوبيين، ص52، ابن حبيب، درة الأسلام، ج1، ورقات 37-38أ؛ عاشور، العلاقات السياسية، ص45؛ Grousset, L'Empire Des steppes.p.p.43.45.

ملحق رقم (1)

بعثات الناصر يوسف إلى المغول:

(1) قبل سقوط بغداد عام 656هـ/1258م:

السنة	اسم الرسول (المبعوث)	اسم المبعوث إليه	سبب البعثة
641هـ/1243م	لم نستطع التعرف عليه	أرغون خان نائب المغول في تبريز	كان مبعوث الناصر يحمل رسالة تتضمن التودد إلى المغول في طلب ودهم والتسلل إلى أرغون خان طلباً للحماية.
643هـ/1245م	تاج الملوك قريب الناصر يوسف	الخاقان المغولي كيوك خان	للحصول على مساعدات عسكرية ونجدة من كيوك خان.
644هـ/1246م	أخ الملك الناصر حاكم حلب	الخاقان المغولي كيوك خان	للمشاركة في احتفال تتويج الخاقان المغولي كيوك خان رسمياً.
648هـ/1250م	الزين الحافظي	الخاقان المغولي منكوقآن	لإظهار الولاء والخضوع للمغول.
649-656هـ	غير معروف	بایجونویان نائب	لإرسال الهدايا والتحف في كل

"موقف الناصر يوسف الثاني..."

سنة من السنوات المذكورة خوفاً من مهاجمة حدود دولته.	المغول في بلاد العجم		1258-1251 م
---	----------------------	--	-------------

(2) بعد سقوط بغداد:

يبدو أنه أراد إعلان ولائه وخصوصه.	هولاكو في بغداد	مبعوثين لم نستطيع الوقف على اسميهما	1258هـ/1256 م
لإرسال الأموال والتحف والهدايا.	هولاكو في بغداد	ابن الناصر العزيز والزین الحافظي وغيرهم	1258هـ/1256 م
لمطالبه بالكف عن حصار میافارقین، وإرسال الأموال والهدايا إليه.	يشمومت بن هولاكو	المؤرخ عز الدين بن شداد	1259هـ/1257 م

ملحق رقم (2)

بعثات المغول إلى الناصر يوسف الثاني:

(1) قبل سقوط بغداد:

السنة	اسم الرسول (المبعوث)	اسم المبعوث إليه	سبب البعثة
1244هـ/1642م	جية مرسلون نيابة عن بدر الدين لؤلؤ صاحب الموصل وبدوره نيابة عن أرغون خان نائب الخاقان المغولي في تبريز.	الملك الناصر	جية الأموال المفروضة على ولايات الشام للملعون
1251هـ/1649م	رسل بايجونوبيان حاكم المغول في بلاد العجم ، وبعض التجار.	سائر ملوك الشام ومنهم الملك الناصر	يحملون مراسيم تتضمن المطالبة بجزية إضافية من سائر ملوك الشام.

(2) بعد سقوط بغداد:

رسل الملك الناصر أنفسهم الذين اجتمعوا بهولاكو بعد وصولهم إلى بغداد في العام المنكور، فرد هولاكو على رسالة الناصر وحملها للرسل أنفسهم.	الملك الناصر	يهده، ويطلب هولاكو من الناصر بالقدوم عليه - على بغداد -.	1256هـ/1656م
العزيز بن الملك الناصر من قبل هولاكو.	الملك الناصر	1 - تهديده. 2 - يطلب منه القدوم عليه.	1257هـ/1657م
مبعوثين من قبل هولاكو لم نعرف اسميهما.	الملك الناصر	تهديد ووعيد	1257هـ/1657م

المصادر والمراجع:-

المخطوطات:

ابن بهادر، محمد بن محمد (عاش في القرن 9هـ/15م) :

1. فتوح النصر في تاريخ ملوك مصر، مخطوط الكتب المصرية، رقم 4977 تاريخ.

ابن حبيب، بدر الدين الحسن بن عمر (779هـ/1377م) :

2. درة الأسلك في دولة الأتراك، ج 1، مخطوط ضمن مجموعة مارش ، بوليفيان -

اكسفورد، رقم: 223، يوجد نسخة مصورة بالجامعة الأردنية، تحت رقم 539.

ابن رسول الغساني، الملك الأفضل عباس بن علي (ت 778هـ/1374م) :

3. نزهة عاليون في تاريخ طوائف القرون مخطوط بدار الكتب المصرية، تحت رقم :

4964 تاريخ.

ابن فضل العمري: شهاب الدين أحمد بن يحيى (ت 749هـ/1349م) :

4. مسالك الأبصار في ممالك الأمصار، مخطوط أيا صوفيا ، رقم 439. منشورات معهد

تاريخ العلوم العربية الإسلامية، فرانكفورت، مج 27/46، 1988م.

المصادر والمراجع:-

ابن أبي اصيبيعة، موقف الدين العباس أحمد الخزرجي (ت 667هـ/1268م) :

1. عيون الأنبياء في طبقات الأنبياء ، شرح وتحقيق: نزار رضا، منشورات مكتبة الحياة ،

بيروت، 1965م.

ابن الأثير، أبو الحسن علي بن عبد الواحد الشيباني (ت 630هـ/1333م) :

2. الكامل في التاريخ، دار الفكر، بيروت، 1978م.

ابن أبيك الصفدي، أبو الصفاء خليل (ت 764هـ/1364م) :

3. الوافي بالوفيات، ج 4، اعتاء: سفين ديدريينغ، ط 2، 1947م.

تففة ذوي الأbab فيمن حكم دمشق من الخلفاء والملوك والنواب ، قسمان، تحقيق:

سعید خلوصی و زهیر الصمصم، منشورات وزارة الثقافة، سوريا، 1992م.

شوكت حجه

- ببيرز المنصوري، الأمير ركن الدين الدوادار (ت 725هـ/1324م) :
- 5 زبدة الفكرة في تاريخ الهجرة تحقيق أدونالدس ريتشارد الشركة المتحدة للتوزيع ، بيروت، 1998.
6. التحفة الملوكية في الدولة التركية ، نشر وتقديم عبد الحميد صالح حمدان ، الدار المصرية اللبنانية، القاهرة، 1987.
- ابن تغري بردي، جمال الدين أبو المحسن يوسف (ت 874هـ/1369م) :
5. النجوم الظاهرة في ذكر ملوك مصر والقاهرة ، طبعة مصورة عن طبعة دار الكتب، المؤسسة المصرية العامة للتأليف والترجمة والنشر، القاهرة، (د.ت).
- الحنبي، أحمد بن إبراهيم (ت 876هـ/1471م) :
- 8 شفاء القلوب في ذكر مناقببنيأيوب ، تحقيق: ناظم رشيد، المكتبة الوطنية، بغداد، 1978.
- ابن خلدون، عبد الرحمن بن محمد (ت 808هـ/1406م) :
9. العبر، ج 5، منشورات مؤسسة الأعلمى، بيروت، 1971.
- ابن دقماق، صارم الدين إبراهيم بن أبو عمر العلائي (ت 809هـ/1407م) :
- 10 نزهة الأنام في تاريخ الإسلام تحقيق سمير طباره، المكتبة العصرية ، صيدا، 1996.
- الذهبي، الحفظ شمس الدين محمد بن أحمد (ت 748هـ/1347م) :
11. دول الإسلام، تحقيق فهيم محمد شلتوت ومحمد مصطفى إبراهيم ، مطباع قطر الوطنية، قطر، 1988.
12. تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام، حوادث 651-660هـ، تحقيق: عمر عبد السلام تدمري، دار الكتاب العربي، بيروت، 1998.
13. سير أعلام النبلاء، مؤسسة الرسالة للطباعة و النشر، بيروت، ط 11، 1998.
14. العبر في خبر من عبر ، نسخة محققة بإشراف مكتبة البحوث و الدراسات في دار الفكر للطباعة و النشر، بيروت، 1997.
- الزبيدي، محمد مرتضى الحسيني الواسطي (ت 1213هـ/1898م) :

"موقف الناصر يوسف الثاني..."

15. انرويج القلوب في ذكر بنى أئوب ، تحقيق: صلاح الدين المتاجد دار الكتب الجديدة ،
بيروت، ط2، 1983م.

ابن سبات، حمزة بن أحمد بن عمر (ت 926هـ/1540م).

16. صدق الأخبار (تاريخ بن سبات) ، تحقيق: عمر عبد السلام تدمري، جروس برس ،
طرابلس، 1993م.

سبط بن الجوزي، شمس الدين بن قراواغلي التركي (ت 654هـ/1256م) :

17. مرآة الزمان في تاريخ الأعيان، مطبعة دار المعارف العثمانية - الهند، 1952م.

السيكي، تاج الدين عبد الوهاب بن نقى الدين (771هـ/1370م) :

18. معيد النعم ومبيد النقم ، تحقيق: محمد النجار و آخرون ، دار الكتاب العربي ، القاهرة ،
1948م.

السيوطى، جلال الدين عبد الرحمن (ت 911هـ/1505م) :

19. تاريخ الخلفاء، دار الكتب العلمية، بيروت، 1988م.

ابن شاكر الكتبى، محمد (ت 764هـ/1361م) :

20. عيون التواریخ، ج 20، تحقيق: فیصل السامر ونبيلة عبد المنعم دار الرشید للنشر ،
العراق، 1980م.

21. قوات الوفيات والذيل عليها، تحقيق: إحسان عباس، دار الثقافة، بيروت، 1974م.

أبو شامة المقدسي، شهاب الدين عبد الرحمن بن إسماعيل (ت 665هـ/1266م) :

تراجیم رجال القرنين السادس والسابع المعروف بالذيل على الروضتين ، عنی
بنشره: عزت العطار الحسيني، دار الجبل، بيروت، 1984م.

ابن الشحنة، محب الدين محمد بن محمد (ت 815هـ/1412م) :

23. وض المناظر في علم الأولئ و الآواخر ، تحقيق: سيد محمد مهنى ، دار الكتب
العلمية، بيروت، 1997م.

ابن شداد، عز الدين بن علي بن ابراهيم (ت 684هـ/1285م).

24. الاعالانخطيرة في ذكر أمراء الشام والجزيرة، تحقيق : يحيى عبارة، وزارة الثقافة،
دمشق ج 1ق 2+1، 1991م. ج 3ق 2+1 1978م.

شوکت حجه -

"موقف الناصر يوسف الثاني..."

35. **نقويم البلدان**، اعتنى بتصحیحه، رینود والبارون دیسلان، باریس، 1840م.
36. **المختصر في أخبار البشر**، دار المعرفة، بیروت، (د.ت).
- ابن فضل الله العمري، شهاب الدين احمد بن يحيى (ت749هـ/1349م):
التعريف بالمصطلح الشريف، تحقيق : محمد حسين شمس الدين، دار الكتب العلمية، بیروت 1988.
- ابن الفوطي، کمال الدين عبد الرزاق تاج الدين احمد (ت723هـ/1323م):
الحوادث الجامدة والتجارب النافعة في المائة السابعة، تصحیح : مصطفی جواد، (د.ت)، بغداد، 1932م.
- القلقشندی، أبو العباس شهاب الدين بن عبد الله (ت821هـ/1418م):
فتح الأعشى في صنع الإنشاء، شرحه وعلق عليه يوسف على طويل، دار الكتب العلمية، بیروت، 1987م.
- ابن كثير، عماد الدين أبو الفداء إسماعيل بن عمر (ت774هـ/1372م):
40. **البداية والنهاية**، مكتبة المعارف، بیروت، مکتبة النصر - الرياض، 1966م.
- المحبی، محمد الأمین بن فضل الله (ت1111هـ/1699م):
فلل السبیل فيما في اللغة العربية من الدخيل، تحقيق : عثمان الصینی، مکتبة التوبیة، الرياض، 1994.
- المقریزی، تقی الدین احمد بن علی (ت845هـ/1440م):
42 **السلوك لمعرفة دول الملوك**، صححه : محمد مصطفی زیادة، لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة، ج ۱ق ۲، 1957م.
- 43 **درر العقود الفريدة في تراجم الأعيان المفيدة**، تحقيق : عدنان درويش ومحمد المصري، منشورات وزارة الثقافة، دمشق، 1995م.
- النسوی، محمد بن احمد بن علی بن محمد (ت1241هـ/639م):
44. **سیرة السلطان جلال الدين منکرتی** ، تحقيق : حافظ احمد حمدي ، دار الفكر العربي ، (د.م)، 1953م.
- النویری، شهاب الدين احمد بن عبد الوهاب التیمی القرشی (ت733هـ/1332م):

شوكт حجه

45.نهاية: الأدب في الفنون الأدب ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، القاهرة ، ج29،

تحقيق : محمد ضياء الدين الرئيس ومحمد مصطفى زيادة ، 1992م.

ابن الوردي، حفص زين الدين عمر (ت749هـ/1349م):

46.تتمة المختصر في أخبار البشر، (تاريخ ابن الوردي) تحقيق : احمد رفعت

البراوي، دار المعرفة، بيروت،1970م.

ياقوت الحموي، شهاب الدين أبو عبد الله ياقوت بن عبد الله (ت626هـ/1228م):

47.معجم البلدان، دار صادر ودار بيروت للطباعة والنشر، بيروت، (1957م).

المصادر الفارسية المعرفية:

- الجويني، علاء الدين عطا ملك بن بهاء الدين محمد (ت681هـ/1282م):

تاریخ فاتح العالم، نقله عن ا لفارسية: محمد التونجي، دار الملاحة للطباعة

والنشر، (د.م)، 1985م.

رشيد الدين فضل الله الهمذاني، فضل الله بن عماد الدولة أبو الخير (ت718هـ/1318م):

2جامع التواریخ، الایلخانیون : تاریخ هولاکو مع مقدمة رشید الدين، نقله

إلى العربيةمحمد صادق نشأت وفؤاد الصياد، ح - ج2ج1، وزارة الثقافة

والإرشاد القومي، مصر، (د.ت).

إقبال، عباس:

تاریخ المغول منذ حملة جنكيز خان حتى قيام الدولة التیموریة ، ترجمة: عبد

الوهاب علوب، المجمع القافی، أبو ظبی، (د.ت).

المراجع العربية:

جمال الدين، محمد:

1- دولة الإسماعيلية في إيران، دار الثقافة للنشر، القاهرة، 1999م.

حسنين، عبد النعيم:

2- قاموس الفارسية، دار الكتب الإسلامية، بيروت - القاهرة، 1982م.

حمدي، حافظ:

3- الشرق الإسلامي قبيل الغزو المغولي، دار الفكر العربي، القاهرة، 2000م.

"موقف الناصر يوسف الثاني..."

الصياد، فؤاد عبد المعطي:

4- المغول في التاريخ، دار النهضة العربية، بيروت، 1980م.

عاشر، فايد:

5- العلاقات السياسية بين المماليك والمغول في الدولة المملوكيّة الأولى، دار المعارف، القاهرة، 1976م.

فهمي، عبد السلام:

6- تاريخ الدول المغولية في إيران، دار المعارف، القاهرة، 1981م.

المراجع المعرفية :-

شبورل، بارتولد:

1. المغول في التاريخ، ترجمة: يوسف شلب الشام، دار طلاس للدراسات، سوريا، 1989م.

2. العالم الإسلامي في العصر المغولي، ترجمة : خالد عيسى، دار حسان للطباعة، دمشق، 1982م.

المعاجم:-

أبقي، محمد قنديل:

1- التعريف بمصطلحات صبح الأعشى، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، 1983م.

دهمان، محمد:

2- معجم الألفاظ التاريخية في العصر المملوكي، دار الفكر المعاصر، بيروت، 1990م.

شير ، أدي :

3- معجم الألفاظ الفارسية المعرفية، مكتبة لبنان، بيروت، 1980م.

الرسائل الجامعية:-

عبد المعز بنى عيسى:

شوكت حجة

الغزو المغولي لدمشق وأثاره السياسية والاجتماعية و الاقتصادية والتلفافية (هولاكو، محمود غازان، تيمورلنك) ، رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة اليرموك، 1997.

شوكت حجة:

-2- العلاقات بين الدول المماليك الأولى ودولة إلخانية فارس 648-1335هـ/1250م، رسالة دكتوراه غير منشورة، جامعة عين شمس، 2002.

المراجع الأجنبية:

Grousset, Rene:

1- L' Empire des stepps, Paris, 1984.

Krawulsky, Dorothea:

2- Mongolen vnd I L K hane Ideologie Vnd Geschichte, Verlage Fur islamische studien, Beirut, 1989.

Morgan, David:

3- Mongols and Mamluks – The Mamluke I LL Khan War 1260-1281, Cambridge, 1995.